

الوافي في الوفيات

وصَبِرَ فِي الْقَرِيضِ وَزَانُ دِي ... نَارِ الْمَعَانِي الْجِيَادِ مُنْتَهِدُ .
وَيَعْرِفُ الشَّعْرَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي ... وَهُوَ عَلَى أَنْ يَزِيدَ مُجْتَهِدُ .
وَكَاتِبُ تَوْجِدِ الْبَلَاغَةِ فِي ... الْفَاطِمَةِ وَالصَّوَابِ وَالرَّشَدُ .
وَوَاجِدُ بِي مِنَ الْمَحَبَّةِ وَال ... رَأْفَةِ أَضْعَافِ مَا بِهِ أَجِدُ .
إِذَا تَبَسَّسَتْ فَهُوَ مُبْتَهِجُ ... وَإِنْ تَنَمَّسَّتْ فَهُوَ مُرْتَعِدُ .
ذَا بَعَضُ أَوْصَافِهِ وَقَدْ بَقِيَتْ ... لَهُ صِفَاتُ لَمْ يَحْوَها أَحَدُ .
أُنشدني إجازةً لِنَدَفِ سِهْرِ الْعَلَامَةِ شَهَابِ الدِّينِ أَبُو الثَّنَاءِ مُحَمَّدُ الْكَاتِبُ عَكْسًا فِي هَذَا الْمَعْنَى مِنَ الْمُنْسَحِ :

مَا هُوَ عَبْدُ كَلَّا- وَلَا وَلَدُ ... إِلَّا عَنَاءُ تَصْنَعِي بِهِ الْكَبِيدُ .
وَفَرَطُ سُقْمٍ أَعْيَا الْأُسَاةَ فَلَقَدَ ... جِلْدُ عَلَيْهِ يَبْقَى وَلَا جِلْدُ .
أَقْبَحُ مَا فِيهِ كَلَّاهُ فَلَقَدَ ... تَسَاوَتِ الرُّوحُ مِنْهُ وَالْجَسَدُ .
أَشْبَهُ شَيْئًا بِالْقِرْدِ فَهُوَ لَهُ ... إِنْ كَانَ لِلْقِرْدِ فِي الْوَرَى وَلَدُ .
ذُو مُقْلَةٍ حَشَوُ جَفْنَيْهَا غَمَضُ ... نَسِيلَ دَمْعَةٍ وَمَا بِهَا رَمَدُ .
وَوَجْنَةُ مِثْلِ صَبْغَةِ الْوَرَسِ وَل ... كِنْ ذَاكَ صَافٍ وَلَوْ أَنَّهَا كَمَدُ .
كَأَنَّ مَا الْخَدَّ فِي نَظَافَتِهِ ... قَدْ أَكَلَتْهُ فَوْقَ صَحْنِهِ غُدَدُ .
يَقْطُرُ سُمًّا فَضَحْكُهُ أَبْدَاءُ ... شَرُّ بَكَاءٍ وَبِشْرُهُ حَرَدُ .
يَجْمَعُ كَفَّيَّهِ مِنْ مَهَانَتِهِ ... كَأَنَّ نَزَّهَةً فِي الْهَجِيرِ مُرْتَعِدُ .
يُطَرِّقُ لَا مِنْ حَيَاءٍ وَلَا خَجَلٍ ... كَأَنَّ نَزَّهَةً لِلتُّرَابِ مُنْتَهِدُ .
أَلَوْ كَانَ إِلَّا فِي الشَّيْءِ يَنْدَبُ كَال ... كَلَابِ وَلَوْ أَنَّ خَصَمَهُ الْأَسَدُ .
يَشْتَمُّنِي النَّاسُ حَرِينَ يَشْتَمُّهُمْ ... إِذْ لَيْسَ يَرْضَى بِشَتْمِهِ أَحَدُ .
كَسْلَانُ إِلَّا فِي الْأَكْلِ فَهُوَ إِذَا ... مَا حَضَرَ الْأَكْلُ جَمْرَةٌ تَقْدُ .
كَالنَّارِ يَوْمَ الرِّيحِ فِي الْحَطَبِ ال ... يَابِسِ تَأْتِي عَلَى السَّذِيِّ تَجْدُ .
يَرْفُلُ فِي حُلَّةٍ مُنْدَبِ تَتَّةٍ ... مِنْ قَمَلِهِ رَقْمُ طُرْزِهَا طَرْدُ .
أَجْمَلُ أَوْصَافِهِ النَّمِيمَةِ وَال ... كَذْبُ وَنَقْلُ الْحَدِيثِ وَالْحَسَدُ .
كُلُّ عَيْبٍ الْوَرَى بِهِ اجْتَمَعَتْ ... وَهُوَ بِأَضْعَافِ ذَاكَ مُنْفَرِدُ .
إِنْ قُلْنَا لَمْ يَدْرِ مَا أَقُولُ وَإِنْ ... قَالَ كِلَانَا فِي الْفَهْمِ مُتَّحِدُ .
كَأَنَّ مَالِي إِذَا تَسَلَّاهُ ... مِنْ مِائِي مَاءٍ وَكَفَّهْهُ سَرَدُ .

حَمَّالْتُهُ لِي دُؤَيَّةٌ حَسُنَتْ ... كُنْتُ عَلَايَها فِي الظَّرْفِ أَعْتَمِدُ .
كَمَثَلِ زَهْرِ الرِّياضِ مَا وَجَدْتُ ... عَيْنِي لَهَا شَيْهَهَا وَلَا تَجِدُ .
فَمَرَّ يَوْمًا بِهَا عَلَى رَجُلٍ ... لَدَيْهِ عِلْمُ اللُّصُوصِ يَنْتَقِدُ .
أَوْدَعَهَا عِنْدَهُ فَفَرَّ بِهَا وَمَا حَوَاهِ مِنْ بَعْدِهَا الْبَلَدُ .
فَجَاءَ يَبْكِي فَطَلْتُ أَضْحَكُ مِنْ ... فِعْلِي وَقَلَّابِي بِالْغَيْطِ مُتَّقِدُ .
وَقَالَ لِي لَا تَخَفْ فَحَلَيْتُهُ ... مَشْهُورَةَ الشَّكْلِ حِينَ يُفْتَقِدُ .
عَلَايَهُ ثَوْبٌ وَعِمَّةٌ وَلَهُ ... ذَقْنٌ وَوَجْهٌ وَسَاعِدٌ وَيَدُ .
وَقَائِلٍ بِرَعِهِ قُلْتُ خُذْهُ وَلَا ... وَزْنُ تُجَارِي بِهِ وَلَا عَدَدُ .
فَفِي السَّذِيِّ قَدْ أَضَاعَهُ عَوْصُ ... وَهُوَ عَلَى أَنْ يَزِيدَ مُجْتَهِدُ .

أبو الحسن الطيب